اسرائيل والصين. فالصينيون في حاجة الى الخبرة والتكنولوجيا العسكرية، حيث أبدوا الرغبة، من قبل، في شراء الاسلحة السوفياتية التي استولت عليها اسرائيل من الدول العربية، بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، خصوصاً ان موسكو كانت أوقفت تزويد الصين بقطع الغيار والمعدّات العسكرية بعدما دبّ الخلاف الايديولوجي بين العملاقين الشيوعيين. وفي المقابل، هناك رغبة اسرائيلية ملحّة في النفاذ الى الصين، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

ومع بداية الانفتاح الخارجي، بدا ان المؤسسة العسكرية الصينية تريد تحديث ترسانة الجيش الصيني القديمة من الاسلحة سوفياتية التصميم، وهي مستعدة لانفاق ملايين الدولارات التي يمكن ان تحصل عليها من خلال مبيعات الاسلحة الصينية لانفاقها، بعد ذلك، على عملية تحديث الجيش.

والحقيقة، ان بدايات التقارب العسكري الصيني ـ الاسرائيلي تعود، في جذورها، الى أواخر الستينات وبداية السبعينات، من خلال حرب فيتنام. ففي ذلك الوقت، اكتشف الصينيون ان العديد من الاسلحة التي يستعملها الفيتناميون الشماليون كانت أقل، في مستواها التقني، ممّا يماثلها من الاسلحة الاميركية الحديثة لدى الفيتناميين الجنوبيين. ولرغبتها الشديدة في الوصول الى ذلك المستوى، ولسوء علاقاتها بالدول الغربية، تطلّعت بكين الى اسرائيل التي لا تمتلك تلك التكنولوجيا اللازمة فقط، بل وكانت ترغب، أيضاً، في التعامل معها دون أي ارتباطات سياسية.

وكانت بدايات هذا التقارب، فعلياً، في العام ١٩٨٠، حينما نشرت وكالة «تاس» السوفياتية، في آب (اغسطس) من العام عينه، تفاصيل بنود صفقة ادّعت بأن الصين تسعى الى ابرامها مع اسرائيل، وذلك للحصول على ٥٤ مقاتلة من طراز كفير ومئات عدة من دبابات ميركافاه، بالاضافة الى مدافع ذاتية الحركة، وعربات مدرّعة، وصواريخ غبريئيل المضادة للسفن، الى جانب معدّات وأجهزة الكترونية متنوّعة، وتقدّر قيمة تلك الصفقة بحوالى بليون دولار. ولقد أيّدت تلك الرواية مجلتا «الايكونومست» البريطانية و«نيوزويك» الاميركية[١٥].

فقد ذكرت «الايكونومست»، في ٢٢/١١/١٩٨٠، انه «بات من شبه المؤكد ان تكون اسرائيل والصين قد توصلتا الى تفاهم ما حول قيام علاقة تسليحية فيما بينهما. غير ان السؤال الوحيد المتعلق بهذه المسألة يبقى ما اذا كان التوقيع على الصفقة قد تمّ فعلاً، أم ان الطرفين ما زالا بصدد التفاوض عليها، تمهيداً لتوقيعها في المستقبل القريب؟». بل وذكرت المجلة ان هناك أنباء، لم تؤكد بعد، حول قيام بعثة خاصة من مؤسسة الصناعات الجوية الاسرائيلية بزيارة سرية للصين، في صيف العام ١٩٨٠، تباحثت، خلالها، مع المسؤولين الصينيين حول امكانات قيام تعاون عسكري بين الطرفين، بما يتناسب مع متطلبات القوات الصينية من الاسلحة والمعدّات الجديدة التي تنوي الحصول عليها لاستبدال قسم من معدّاتها القديمة المستخدمة حالياً. وقد ضمّت تلك البعثة مندوبين عن وزارتي المالية والدفاع، وعن مختلف أجهزة الصناعات الحربية في اسرائيل.

أمّا مجلة «نيوزويك»، فقد أكدت، في ٢٣/١١/١٩٨٠، ان «اسرائيل تبيع اسلحة للصين على نطاق واسع، وان الصينيين على وشك توقيع صفقة مع اسرائيل قيمتها بليونا دولار، سوف تشكل أضخم صفقة سلاح في تاريخ الصناعة العسكرية الاسرائيلية».

لقد اتفقت المصادر، كافة، التي أفادت بأنباء الصفقة على اعتبار ان الدلائل والظروف التي ترجّح احتمال قيام تعاون تسليحي بين اسرائيل والصين كثيرة ومنطقية، الّا انه يبدو ان العلنية التي أطاحت بالصفقة، من ناحية، وواقع صناعة السلاح في اسرائيل، من ناحية أخرى، قد أدّتا